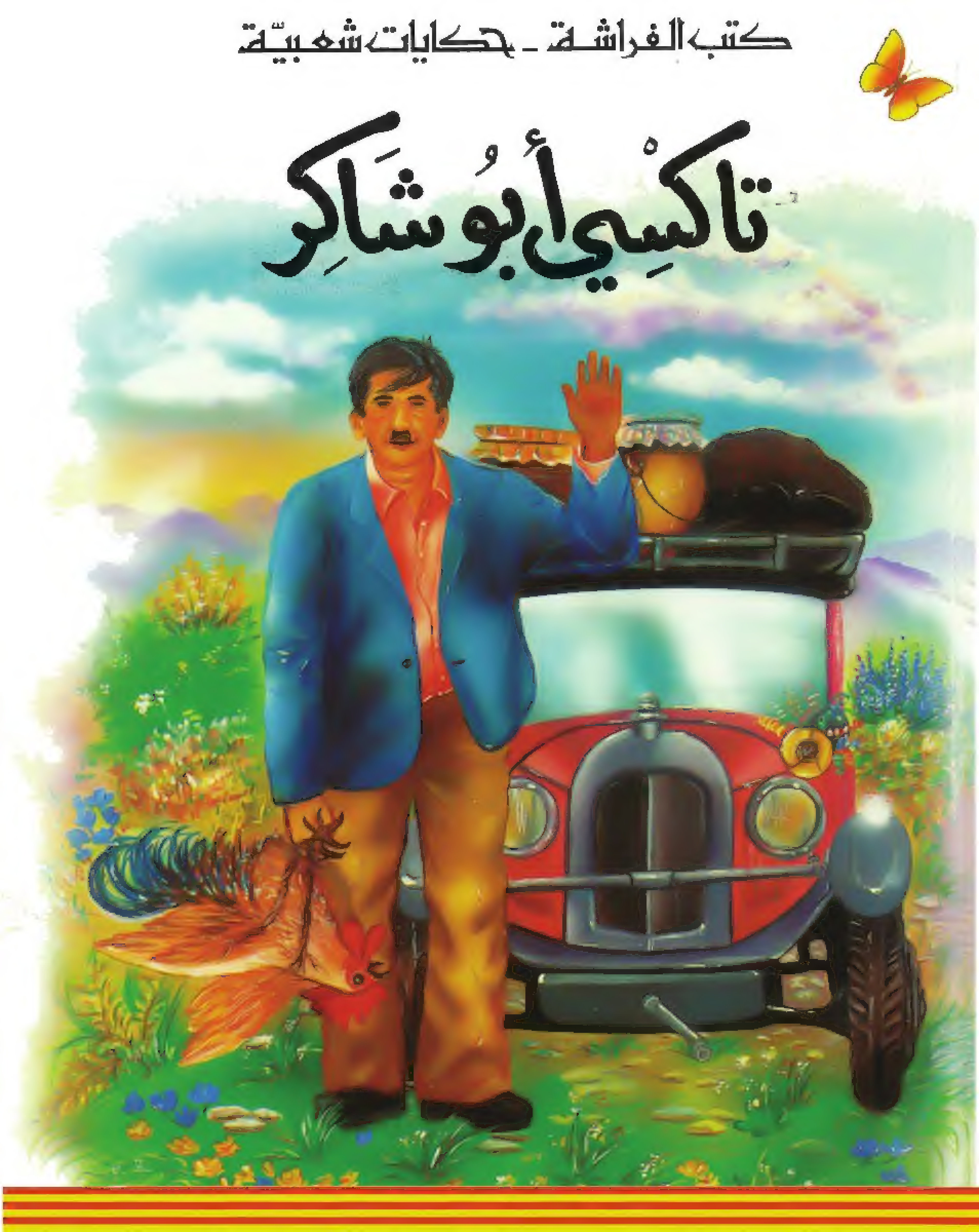

كتب الفراشة - حكايات شعبيّة
تاكسِي أبُو شاكِر

ما هي هَذه «الحِكايات الشَّعْبِيَّة»؟

إنَّها لَمحات مِنَ الماضي وصُوَر مِن التُّراث بأساطيره وتَقاليده وعاداته، نَسيناها أو كِدْنا نَنسى مُعظَمها، يُعيد إحياءَها الأديب إميل يوسف عوّاد بقَلَمه الصّادِق الشّفّاف.

مَع هَذه الحِكايات، يَعود أَبناء الجِيلِ الجَديد إلى جُذورهم الّتي هُمْ عنها غافِلون، فما يَنطبِق على قَرية يَنطبِق على كُلّ القُرى، وما يَحْدث لِفَرْد قد يَحْدث مَثيلُه لباقي أفراد المُجتمَع.

إنَّها دَعوة لِلرُّجوع إلى الضَّمير والسَّيْر في طَريق الإيمان بِالله ومَحبَّة الإنْسان لِأخيه الإنْسان والارْتِباط بِالطَّبيعة والأَرْض والوَطَن، مِن أَجْل حَياة هانِئة وادِعة بَريئة.

كُلّ ذَلكَ بِأُسلوبٍ رَشيقٍ جَذّابٍ هو أَبْعَدُ ما يَكونُ عن الوَعْظِ المُباشِرِ والعِباراتِ الطَّنّانةِ.

كتب الفراشة - حكايات شعبيّة

تاكْسِي أبُو شاكِر



إميل يوسُف عوّاد



مكتبة لبنان ناشِرون

هَذه زَمَّارَةُ (زَمُّورُ) سَيّارَةِ «أَبو شاكِر»: «تابوبوتابو». وهِيَ زَمَّارَةٌ على الهَواءِ مِنَ الكاوتشوكِ بِشَكْلِ بالونٍ مُعَلَّقٍ بِماسورَةٍ مَعْدِنِيَّةٍ. يَضْغَطُ «أَبو شاكِر» عَلَيْها كُلَّما مَرَّ في الضَّيْعَةِ (القَرْيَةِ)، فَتَزْعَقُ الزَمَّارَةُ بِالصَّوْتِ التّالي: «تابوبوتابو».





«أَبو شاكِر» سائِقُ تاكْسي، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَعَلَّمَ قِيادَةَ السَّيّاراتِ في قَرْيَتِنا.
وكانَتْ سَيّارَتُهُ «الفورْد أَبو دَعْسة» الوَحيدَةَ الَّتي تُؤَمِّنُ المُواصَلاتِ بَيْنَ قَرْيَتِنا
وبَيْروتَ، وبِالعَكْسِ.



وأَيّامَ زَمانٍ، أَيّامَ «أَبو شاكِر»، لَمْ يَكُنِ التّلفونُ قَدْ وَصَلَ إلى قُرى الجَبَلِ. والبَريدُ يَتَأَخَّرُ في الوُصولِ إلى أَصْحابِهِ. «فَأَبو شاكِر» هُوَ الّذي كانَ يَقومُ بِمُهِمَّةِ التّلفونِ وبِمُهِمَّةِ البَريدِ:

- يا عَمّي «أَبو شاكِر»، والِدي يَرْجو مِنْكَ تَسْليمَ هَذِهِ الرِّسالَةِ إلى بَيْتِ عَمّي «رَشيد» في بَيْروتَ.



-عَلى عَيْني قَبْلَ رَأْسي.

-يا عَمّي «أبو شاكِر». يَقولُ لَكَ «أبو نَعّوم» بِأَنْ تَأْخُذَ مَحْلوبَ (حَليبَ) اللَّبَنِ هَذا، وتُسَلِّمَهُ إلى بَيْتِ أَخيهِ في أَنْطِلْياسَ. وأَنْ تُعيدَ إِلَيْهِ الإناءَ الفارِغَ.

-عَلى عَيْني أَنْتَ و «أَبو نَعّوم».

- الله يُوَفِّقُكَ يا «أبو شاكِر» ولَوْ أَنَّني أَثْقَلْتُ عَلَيْكَ. الأَيّامُ أَيّامُ بَرْدٍ.

هَذا كيسُ فَحْمٍ لِبَيْتِ الخَواجَة «رَؤوف». ولا أَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ سَيُزْعِجُكَ إنْ أَنْتَ وَضَعْتَهُ في الصُّنْدوقِ.



-ما في إزْعاج أَبَدًا. ثِقْلُه على «العَرَبِيّة».

-الله يعطيكَ العافِيَة يا «أبو شاكِر».

-الله يعافيك.





-لَمْ تَتْرُكْني «أُمّ نَجيب» أَرْتاحُ لَحْظَةً طَوالَ هَذا اللَّيلِ. لَقَدْ وَضَعْتُ «نَجيب» في مَدْرَسَةٍ داخِلِيَّةٍ كَيْ أَرْتاحَ أَنا ويَرْتاحَ هُوَ وتَرْتاحَ أُمُّهُ. ولَقَدِ ارْتَحْتُ أَنا. وارْتاحَ الصَّبِيُّ. ولَكِنْ «أُمّ نجيب» لا. فَكُلَّما جَلَسْنا حَوْلَ طاوِلَةِ الطَّعامِ، تَنْحَدِرُ دُموعُ «أُمّ نَجيب»: يقْبرْني (يَجْعَلُ اللهُ يومِي قَبْلَ يَوْمِه) «نَجيب» إِنَّهُ يُحِبُّ هَذِهِ «الأَكْلَة». أَرْجو أَنْ تَعْذِرَني يا «أبو شاكِر». واللهُ يَحْفَظُ لَكَ أَوْلادَكَ.

أُكَلِّفُكَ بِهَذا الصُّنْدوقِ الصَّغيرِ.

وفيهِ صِينِيَّةُ كِبّة بِالفُرْنِ، وَوِعاءُ تينٍ مَطْبوخٍ، وَوِعاءُ دِبْسِ عِنَبٍ، وَوِعاءُ كِشْكٍ. وبَلِّغْ «نَجيب» سَلامي وسَلامَ أُمِّهِ وقُلْ لَهُ هَذِهِ الأَشياءُ مِنْ أُمِّهِ. وفِكْرُنا دائِمًا عِنْدَهُ.



– «نَجيب» ابْني. وأَنا أَعْرِفُ قَلْبَ الأُمِّ. ولا تَنْسَ يا «أَبو نَجيب» أَنَّ الوَلَدَ يَشْتَهي وهُوَ في الغُرْبَةِ ومِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ أَصْنافِ طَعامِ البَيْتِ. وهَذِهِ الأَشْياءُ الَّتي تُرْسِلُها «أُمّ نَجيب» غَيْرُ مَوْجودَةٍ في المَدْرَسَةِ. سَأَذْهَبُ إلى المَدْرَسَةِ وسَأُسَلِّمُهُ الأَغْراضَ، وفي المَساءِ أُعْطيكَ مِنْ أَخْبارِهِ. كُنْ مَطْمَئِنًّا. وثِقْ بِأَنَّ «أَبو شاكِر» دائِمًا في الخِدْمَةِ. والخِدْمَةُ عَلى قَلْبِهِ مِثْلُ العَسَلِ.

– الله يزيد مِنْ أَمْثالِكَ يا «أَبو شاكِر».

«أبو شاكِر» لا يَهُمُّهُ جَمْعُ المالِ. يَهُمُّهُ أَنْ يَخْدُمَ النّاسَ. إنَّهُ يُفَضِّلُ أَنْ يَسْمَعَ كَلِماتِ الشُّكْرِ والدُّعاءِ لَهُ بِطولِ العُمْرِ والعافِيَةِ على قَبْضِ أُجْرَةٍ عَنْ خِدْمَةٍ يَقومُ بِها.



ها هُوَ «أَبو وَليد» يَدُقُّ بابَ «أَبو شاكِر» قَبْلَ الشُّروقِ:

- أَهْلًا «أَبو وَليد»، خَيْرٌ إِنْ شاءَ اللهُ.

-خَبَرٌ حُلْوٌ يا «أَبو شاكِر».

-هاتِ ما عِنْدَكَ.

-أُخْتي «نَزْهَة» وَضَعَتْ صَبِيًّا. أَرْجو أَنْ تَحْمِلَ إِلَيْها هَذا الدّيكَ. والعادةُ في القُرى أَنْ تَتَناوَلَ المَرْأَةُ الَّتي تَلِدُ مَرَقَةَ الدّيكِ.





اِنْفَرَجَتْ أَساريرُ «أَبو شاكِر» وبَدَتْ عَلَيْهِ عَلاماتُ الفَرَحِ وقالَ:

-مَبْروكٌ وأَلْفُ مَبْروكٍ يا «أَبو وَليد». عِنادُ صِهْرِكَ كانَ في مَحَلِّهِ. عِنْدَما قُلْتُ لَهُ في السَّنَةِ الماضِيَةِ: «صارَ عِنْدَكَ سِتُّ بَناتٍ. كُلُّ شَيْءٍ جَنَيْتَهُ في حَياتِكَ سَيَذْهَبُ في الهَواءِ»، أَجابَني بِغَضَبٍ: «سَتَظَلُّ زَوْجَتي تُنْجِبُ لي، إِلى أَنْ يَأْتِيَ الصَّبِيُّ». لَقَدْ جاءَ الصَّبِيُّ. وأَنا مُسْتَعِدٌّ لا لِحَمْلِ الدّيكِ فَحَسْبُ بَلِ



الحظيرةِ وما فيها إلى أُخْتِنا «نَزْهَة». الحَمْدُ لِله عَلى سَلامَتِها والرَّبُّ يَحْفَظُهُ لَها.

وتَناوَلَ «أَبو شاكِر» الدّيكَ، ورَبَطَ رِجْلَيْهِ بِخَيْطٍ قَوِيٍّ وحَمَلَهُ إلى السَّيّارَةِ ووَضَعَهُ في أَرْضِها إلى جانِبِهِ.

وبَعْدَ أَنْ شَرِبَ القَهْوَةَ مَعْ «أَبو وَليد» اسْتَأْذَنَ بِالانْصِرافِ ونَزَلَ إلى سَيّارَتِهِ وضَغَطَ عَلى زَمّارَتِها: «تابو بو تابو».



وسَمِعَ أَهالي الضَّيْعَةِ زَمّارةَ «أَبو شاكِر». وتَساءَلوا: «لَيْسَ مِنْ عادَةِ «أَبو شاكِر» أَنْ يَنْزِلَ إلى بَيْروتَ في هَذِهِ السّاعَةِ المُبَكِّرَةِ. لا شَكَّ أَنَّ هُناكَ أَمْرًا مُسْتَعْجِلًا».



وها هُـوَ يَقْطَعُ طَريـقَ القَرْيَةِ ذَهابًـا وإيابًا مَرَّتَيْـنِ، ويَضْغَطُ عَلـى زَمّارَتِهِ:

«تابوبوتابـو».





راكِبٌ واحِدٌ فتَحَ شُبّاكَ بَيْتِهِ ونادى بِأَعْلى صَوْتِهِ:

- «أَبو شاكِر»... «أَبو شاكِر»...

أَوْقَفَ «أَبو شاكِر» سَيّارَتَهُ ونَزَلَ مِنْها:

-آنا آسِفٌ يا أُسْتاذُ «هاني». مُضْطَرٌّ اليَوْمَ أَنْ أَنْزِلَ إلى بيْروت باكرًا.

هَلْ أَنْتَ حاضِرٌ؟

-طَبْعًا... طَبْعًا...

والأُسْتاذُ «هاني» مُعَلِّمٌ في إحْدى مَدارِسِ بَيْروتَ. يَذْهَبُ إلى عَمَلِهِ صَباحًا مَعَ «أَبو شاكِر» ويَعودُ مَساءً مَعَهُ. يَنْتَظِرُهُ عَلى سُلَّمِ بَيْتِهِ صَباحَ كُلِّ يَوْمٍ في السّاعَةِ السّابِعَةِ. إنَّما اليَوْمَ كانَ المَوْعِدُ السّاعَةَ الخامِسَةَ والنِّصْفَ. ولا بَأْسَ إذا لَمْ يَشْرَبِ القَهْوَةَ بَعْدُ ولَمْ يُهَيِّئْ ملابِسَهُ جَيِّدًا، فَإكْرامًا لِـ «أَبو شاكِر» سَيَشْرَبُ القَهْوَةَ في بَيْروتَ ويُرَتِّبُ هِنْدامَهُ عَلى قَدْرِ المُسْتَطاعِ.





ولَمْ يَكَدِ الأُسْتاذُ «هاني» يُطِلُّ مِنْ بابِ بَيْتِهِ حَتّى أَسْرَعَ «أبو شاكر» لِمُلاقاتِهِ:

-أَهْلًا بِالأُسْتاذِ. أَهْلًا... أَهْلًا...

وتَناوَلَ مِنْ يَدِهِ الحَقيبَةَ الجِلْدِيَّةَ السَّوْداءَ، وفيها الدَّفاتِرُ والكُتُبُ المَدْرَسِيَّةُ.

وَلمّا هَمَّ الأُسْتاذُ بِالصُّعودِ إلى السَّيّارَةِ ارْتَبَكَ إِذْ وَقَعَ نَظَرُهُ عَلى الدّيكِ.

فَبادَرَهُ «أَبو شاكِر» بِالقَوْلِ:

-تَفَضَّلْ... تَفَضَّلْ...

فَأَجابَهُ الأُسْتاذُ:

- والدّيكُ ماذا سَتَفْعَلُ بِهِ؟



- «أَبو وَليد» رَجُلٌ طَيِّبٌ. كَلَّفَني بِإيصالِهِ إلى شَقيقَتِهِ في بَيْروتَ. وقَدْ وَضَعَتْ صَبِيًّا بَعْدَ سِتِّ بَناتٍ.



فَصَعِدَ الأُسْتاذُ إلى السَّيّارَةِ ووَضَعَ الدّيكَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ وقالَ مُبْتَسِمًا:

-إنَّه لَخَبَرٌ مُفْرِحٌ.

ثُمَّ أَرْدَفَ: أَلَيْسَ بِالإمْكانِ وَضْعُهُ في الصُّنْدوقِ؟

فَأَجابَهُ «أَبو شاكِر»: أَخافُ أَنْ يَخْتَنِقَ يا أُسْتاذُ.

وسَكَتَ الأُسْتاذُ. وفي الطَّريقِ تَضايَقَ الدَّيكُ مِنَ الرِّباطِ في رِجْلَيْهِ وبَدَأَ يَتمايَلُ شِمالًا ويَمينًا. وكانَ الأُسْتاذُ صَبورًا. فيُفَرْشِخُ (يُباعِدُ ما بَيْنَ رِجْلَيْهِ) قَدْرَ إمْكانِهِ كُلَّما اقْتَرَبَ الدّيكُ مِنْ إحْدى رِجْلَيْهِ. إلى أَنْ رَأَى أَنَّ شَيْئًا يَنْزِلُ مِنْ مُؤَخَّرَةِ الدِّيكِ. عِنْدَئِذٍ لَمْ يَتَمالَكِ الأُسْتاذُ مِنْ تَنْبيهِ «أَبو شاكِر» إلى هَذا الأَمْرِ:

-الأَوْساخُ... الأَوْساخُ... ثِيابي... ثِيابي... ماذا أَفْعَلُ؟

-لا بَأْسَ... لا بَأْسَ... لَقَدْ وَصَلْنا.





وها هِيَ سَيّارَةُ «أبو شاكِر» تَتَوَقَّفُ أَمامَ بَيْتِ «السِّتّ نَزْهَة» وتزْعَقُ زَمّارَتُها: «تابوبوتابو».. «تابوبوتابو...». فَيُطِلُّ زَوْجُ «السِّتّ نَزْهَة» وبِأَعْلى صَوْتِهِ يُنادي:

- «أبو شاكِر» ! صَبِيّ... صَبِيّ...

ويُجاوِبُهُ «أبو شاكِر»: - مَبْروكٌ... مَبْروك.

ثُمَّ يَحْمِلُ الدِّيكَ ويُسَلِّمُهُ إلى زَوْجِ «السّتّ نَزْهَة» ويَعودُ إلى السَّيّارَةِ فَيُنَظِّفُها مِنَ الأَوْساخِ ويَعْتَذِرُ لِلأُسْتاذِ.

كَثيرَةٌ هِيَ الخِدْماتُ الَّتي يَقومُ بِها «أَبو شاكِر» بِدونِ مُقابِلٍ، وبِطيبَةِ خاطِرٍ وبَشاشَةِ وَجْهٍ.



وكَثيرًا ما كانَ يَدِبُّ الخِلافُ بَيْنَ «أَبو شاكِر» وزَوْجَتِهِ وأَوْلادِهِ، وخُصوصًا ابْنُهُ الأَكْبَرَ - وهُوَ مِنَ الجيلِ الجَديدِ - ويَحْتَدِمُ النِّقاشُ:



أَنْتَ رَبُّ عائِلَةٍ. عَلَيْكَ مَسْؤولِيّاتٌ. إِنَّكَ تُضيعُ الوَقْتَ وتُحْرِقُ البنْزينَ هَكَذا لِوَجْهِ الله. فُلانٌ صَديقُنا. وفُلانٌ جارُنا. وفُلانٌ زَبونٌ عِنْدنا.
وفُلانَةُ فَقيرَةٌ. وفُلانَةُ مَريضَةٌ. وفُلانَةُ «مَقْطوعَة». ما الفائِدَةُ لِعائِلَتِكَ مِنْ كُلِّ هَذا؟ إنَّكَ تَكْتَفي بِسَماعِ الكَلامِ المَعْسولِ. إنَّهُمْ يَسْتَغِلّونَ قَلْبَكَ الطَّيِّبَ.

ويُجيبُهُمُ الوالِدُ:

-هَذا شُغْلي. وأَنا في خِدْمَةِ النّاسِ. غَدًا اشْتَغِلوا حَسَبَ ذَوْقِكُمْ ومُرادِكُمْ يا أَوْلادي. أَنا تَزَوَّجْتُ وَبَنَيْتُ بَيْتًا ورَبَّيْتُ عائِلَةً. كُلُّ ذَلِكَ مِنْ إيرادِ هَذِهِ السَّيّارَةِ، وبِفَضْلِ خِدْماتي ومَحَبَّةِ النّاس لي.



ماتَ «أَبو شاكِر» في شَيْخوخَةٍ صالِحَةٍ. وكانَتْ سَيّارَتُهُ العَتيقَةُ مِنْ نَصيبِ وَلَدِهِ الأَكْبَرِ. فَباعَها لِأَنَّها لَمْ تَعُدْ لائِقَةً بِالنِّسْبَةِ إلى باقي سَيّاراتِ التّاكْسي الّتي عَمَّتِ البِلادَ، وكُلُّها فَخْمَةٌ ومُريحَةٌ. وأَرادَ أَنْ يَشْتَرِيَ سَيّارَةً جَديدَةً، لَكِنَّ المالَ كانَ يَنْقُصُهُ وعَلَيْهِ إمّا أَنْ يَرْهَنَها أَوْ يَرْهَنَ ما يَمْلِكُ. وبَقِيَ مُتَرَدِّدًا عِدَّةَ أَشْهُرٍ.





ذاتَ لَيْلَةٍ إذا بِبابِ بَيْتِ المَرْحومِ «أبو شاكِر» يُدَقُّ. فَقامَ «شاكِر» وفَتَحَ الباب. وإذا بِأَحَدِ زَبائِنِ والِدِهِ القَديمينَ وقَدْ عادَ مِنَ المَهْجَرِ بَعْدَ أَنْ جَمَعَ ثَرْوَةً لا بَأْسَ بِها.



فوجِئَ «شاكِر» بِهَذِهِ الزِّيارَةِ ورَحَّبَ بالزّائِرِ. وكَالعادَةِ بُدِئَ الحَديثُ بِالسُّؤالِ عَنِ الصِّحَّةِ والأَشْغالِ. وأَحاطَتِ العائِلَةُ بِالزّائِرِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وعَلاماتُ الاسْتِفْهامِ عَلى وُجوهِ الجَميعِ.

ولَمْ يَطُلِ الأَمْرُ حَتّى انْتَحى الزّائِرُ «بِشاكِر» في زاوِيَةٍ وأَخَذَ يَتكَلَّمُ هَمْسًا:

-الله يرْحَم والِدَكَ. كُنْتُ لا أَرْكَبُ إلّا سَيّارَتَهُ. والِدُكَ رَجُلٌ طَيِّبٌ. وأَنا مُتأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ القَرْيَةَ كُلَّها بَكَتْهُ وحَزِنَتْ عَلَيْهِ كَما بَكَيْتُهُ وحَزِنْتُ عَلَيْهِ. يا «شاكِر»، عَلِمْتُ مِنَ الجيرانِ أَنَّكَ بِعْتَ سَيّارَةَ والِدِكَ ومُرادُكَ شِراءُ سَيّارَةٍ جَديدَةٍ، لَكِنَّ المالَ يَنْقُصُكَ. والِدُكَ فَضْلُهُ كَبيرٌ عَلَيَّ. أَنا مُسْتَعِدٌّ أَنْ أُعْطِيَكَ المالَ الّذي تَحْتاجُهُ. وتُعيدُهُ إلَيَّ عِنْدَما يَتَيَسَّرُ لَكَ ذَلِكَ وبِدونِ فائِدَةٍ.





فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنا «شاكِر» بِالدُّموعِ ونَظَرَ إلى صورَةِ المَرْحومِ والِدِهِ المُعَلَّقَةِ في الحائِطِ وخاطَبَها:

- اللهُ يَرْحَمُكَ يا والِدي. وأُقْسِمُ لَكَ بِأَنّي سَأَكونُ مِثْلَما كُنْتَ أَنْتَ، وسَأَخْدُمُ النّاسَ مِثْلَما خَدَمْتَهُمْ أَنْتَ. سامِحْني يا والدي... سامِحْني.

كتب الفراشة - حكايات شعبية

١. تاكسي أبو شاكر
٢. العَنزة وَالغولَة
٣. أبو الجِنّ
٤. صندوق الدُّنيا

مَكتبَة لبْنان ناشِرُون ش.م.ل.
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت، لبنان

الطبعة الأولى، ١٩٩٦
طبع في لبنان
رقم الكتاب 01C193101

كتب الفراشة

حكايات شعبيّة ١٠ تاكسي أبو شاكر

أَبو شاكِر يَملك سَيّارة «فورد-أبو دعسة» زَمّارَتُها تَقول: «تابوبو تابو».

كانَت الوَسيلةَ الوَحيدة لِلمُواصَلات بين القَرْية والمَدينة!

أَبو شاكِر يَنقُل أيضًا الرَّسائِل والأَخبار والأَغْراض ويَكْتفي بِتَلقّي عِبارات الشُّكْر والدُّعاء بِطول العُمْر.

تَغَيَّرَت الأَيّام، وعَمَّت السَّيارات الحَديثة البِلادَ. فَماذا حَدَث لِهَذه السَّيّارة القَديمة ولِأَصْحابها؟





مكتبة لبنان ناشرون